الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

عبد الفتاح محمد عبد الكريم

إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو الأساس الأعظم الذى يشكل ركناً هاماً وخطيراً فى حياة المسلمين وبه أرسل الله الأنبياء الكرام ليعلنوا للناس قضية الإيمان تحمل بين طياتها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، ولو أهملناه وأعرضنا عنه لعطلنا بذلك أهم عمل من أعمال النبوة وقضينا على أهم عامل من عوامل الدين وتفشت الضلالة بيننا وعم الجهل وانتشر الفساد فى ربوع الأرض وأحاط بنا الهلاك من كل جانب وتحت ستار الدنيا بزخرفها وبريقها اللامع وشهواتها المغرية ربما لا تنتبه لهذا الخطر الجسيم إلا يوم يسألنا من لا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء عن هدمنا لأهم ركن من أركان الإيمان .

وإذا نسى الناس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهم بهذا قد اتبعوا شهواتهم وأنفسهم واسترسلوا مع هواهم فهانت عليهم حقوق الله تعالى :

إن الأمة الإسلامية التى كرمها الله عز وجل وجعلها خير أمة أخرجت للناس ورفع من شأنها وأعلى من منزلتها لم يكن لها ذكر فى الأرض ولا فى السماء قبل بعثة هذا النبى الكريم ونالت الشرف والمهابة والكرامة ببعثة خير الأنبياء والمرسلين ومنحها الله وساماً يميزها عن غيرها ممن سبقها من الأمم فقال الحق تعالى فى شأنها وصفتها العامة .

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » . (سورة آل عمران)

لقد الله إطار هذه الأمة ولماذا كانت خير أمة أخرجت للناس جاء أولا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إظهاراً لأهميته وخطورته فى الإسلام.

بل إننا إذا أمعنا النظر مرة أخرى فى هذه الآية نجد أن الحق تبارك وتعالى رتب الخيرية والأفضلية لهذه الأمة بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر والأمة التى تأمر وتنهى لا بد وأن تتوافر فيها كل شروط الإسلام لأنها تعطى ولا تأخذ بل تهب الجميع مما يجاورها مبادىء الإسلام السامية وتغرس فى نفوس الناس أجمعين مبادىء محمد ﷺ وما جاء به من عند ربه .

ثم يوضح لنا الحق تبارك وتعالى إن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقى ، فبعد أن أوضح الله الوصف العام لأمة محمد ﷺ جاءت الآية الثالثة تبين أن هذا الأمر لابد من الإتيان به حتى تحقق الصفة الأساسية لأمة محمد ﷺ .

قال تعالى : « ولتكن منكم أمه يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون »

(سورة آل عمران / آية ١٠٤)

فهمنا من هذه الآية أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض كفاية . أما لو تقاعد وتقاعس عنه الجميع فإن الإثم يعم الجميع . كما نجد أن الحق تبارك وتعالى رتب الفلاح والنصر والتأييد والتمكين لهذه الأمة بشرط أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

إن الإيمان وحده دون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يساوى الإيمان مع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بل إن هى آمر وانهى

على حسب أوامر الله تعالى وعالج مايراه عملا منكرا بالطرق المشروعة فإن درجة إيمانه تزيد على الميزان .

قال تعالى : « ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين » .

(آل عمران: ١١٣، ١١٤)

فلم يشهد الله تعالى لهم [illegible] بمجرد الإيمان بالله واليوم الآخر حتى أضاف إلى درجة إيمانهم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

والحق سبحانه وتعالى حينما يتحدث فى محكم آياته عن صفات المؤمنين حقاً بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر يذكر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر كشرط أساسى لابد منه حتى يكتمل الإيمان وتأتى ثماره المرجوة فالذى يهجر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد خرج عن هؤلاء المؤمنين الذين وصفهم الله بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

وإذا رأينا المنكر أمام أعيننا وأصبح شائعاً ومعروفاً ولم نغيره أو ننهى عنه أصابتنا اللعنة عن الله كما لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل بسبب هجرانهم للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

قال تعالى : « لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

(المائدة ٧٨: ٧٩)

والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تكليف من الله للأمة المسلمة التى أعلنت إيمانها وصدقت برسله .

ومهما كان هذا التكليف شاقا وطريقه وعرا فيجب علينا أن ننهض به ونقيم ميزان الله العدل فى الأرض ونصحح القيم الزائفة وإنما كان هـــذا الطريق وعرا لأنه يعلن حرباً شعواء على الشر وأعوانه ولينتصر للحق وأوليـــاءه .

هذا واجب الأمة المسلمة الذى يتحتم عليها أن تنصره وتحميه وتدافع عنه وأن يكون لها بهذا التكريم الصدارة والقيادة دائما . وقد منحها الله كل هذه المقومات فهى بإيمانها العميق بالله ورسله وبنظامها الاجتماعى الذى رسمه الله لها وتمكينها من الأرض واستخلافها أهل لذلك .

وإذا ما حققنا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فنكون قد أقنا العلاقة الوطيدة بين الله وعباده المؤمنين .

ورسم رسول الإسلام ﷺ طريق معالجة المنكر بأحاديثه الشريفة التى تعتبر نبراسا يقتدى به المؤمنون كلما لاحت فى الأفق بوادر المنكر وقبل أن يستفحل أمره ويستشرى .

عن أبى سعود الخدرى — رضى الله عنه — قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » .

(أخرجه مسلم)

وعن ابن مسعود — رضى الله عنـه — قال : قال رسول الله ﷺ : « لما وقعت بنو إسرائيل فى المعاصى نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا . فجالسوهم وواكلوهم وشاربوهم ، فضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وسليمان وعيسى ابن مريم . . . ثم جلس — وكان متكئاً —

فقال :(لا والذى نفسى بيده حتى تأطروهم على الحق اطراً أن تعطفوهم وتزودهم ،

(أخرجه أبو داود والترمذى)

والذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يشترط فيه أن يكون على علم بكل صغيرة وكبيرة من قانون السماء حتى لا يلقى بنفسه فى التهلكة ، لأن الإستطاعة التى وردت فى حديث الرسول ﷺ ، لا يكفى فيها مجرد النطق باللسان بل هى استطاعة مصحوبة بالعلم ما هو المعروف وما هو المنكر فإذا ماتحقق العلم التام ثم تصدى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر جاء دور الحكمة والموعظة الحسنة فى معالجة الأمور فلا نلقى الموعظة جزافاً أو عن جهل فإن الدعوة بالحسنى تجىء بالنتيجة التى يرضى عنها الله ورسوله .

ونجد أن القرآن الكريم يركز على الدعوة بالحسنى قال تعالى :«أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ».

(النحل : ١٢٤)

فإن الله يطلب منا الحكمة فى أداء الرسالة وهذا أمر لابد منه فإن المسلمين الأوائل الذين ملأ الله قلوبهم بالإيمان راحوا يتحدون عبدة الأصنام ووصلوا فى حماسهم للدعوة إلى حد سب الأصنام التى تعبدها الكفار فكان الآخرون وهم باعتقادهم الباطل يدافعون عن أصنامهم وسبهاء بسب الله فنزل القرآن ينهى عن ذلك فقال تعالى فى سورة الأنعام : «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم » .

إن هذا الوضوح فى منهج الله بأن تكون الدعوة إلى الله وإصلاح ما نراه منكراً وإيماننا نريد أن تغيره فلا يكون بالعنف وإنما بالدليل والبرهان المقنع والحجة الساطعة والحق سبحانه وتعالى يثنى على رسوله

صلى الله عليه وسلم . بمجادلته لأولئك الذين يخالفون دينه ومنهجه فيقول الحق له ﷺ « ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك » .
(آل عمران : ١٥٨)

وهناك شرط هام وله خطورته فيمن يتصدى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أن يكون نفسه أهلا لذلك فلا يأمر الناس بشيء يفعله هو كمن يدعوك لصلة الرحم مثلا وهو يمزق رحمه فقبل أن تقول للناس أنتهوا فكون نحن قد طبقنا هذا على أنفسنا .

قال تعالى « أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » . (البقرة : ٤٢)

والذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر يتوجون أنفسهم ويسلحونها بسلاح الإيمان القوى حتى يستطيعوا أن يمضوا فى هذا الطريق الشاق الوعر ويتحملوا أعباءه الكثيرة لأنهم سيواجهون الشر وهو مدجج بسلاحه ، ويواجهون الشهوة فى عنفوانها وشدتها .

وزادهم لابد أن يكون الإيمان بالله ورسوله وسندهم القوى الذى يعتمدون عليه هو الله تعالى لأن كل سند غير سند من رفع السماء وبسط الأرض ينهار سريعاً أمام هذه التيارات والأمة الإسلامية إما أن تقوم بتطبيق منهج الله من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفق شريعته فهى موجودة وهى مسلمة ، وإما أن لا تقوم بشيء من هذا كله وتلقى بأوامر الله وراء ظهرها فهى غير موجودة وغير مسلمة .

والله تعالى أعلى وأعلم

عبد الفتاح محمد
معيد بقسم العقيدة والفلسفة